متى نصر الله ؟

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

اللهم لك الحمد يا علام الغيوب ،،

لك الحمد يا منزل الكتاب ،،

لك الحمد يا مجري السحاب ،،

لك الحمد يا هازم الأحزاب ،،

العزة لك، الملك لك، البقاء لك، والتوحيد الخالص لك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله .

هل سمعتم بقصة الملك الذي طغى وبغى وعدى واعتدى وشنق وخنق حتى خلعت شدة بطشه القلوب، وقطعت سطوة جرمه الألسنة، فجاءه ناصحٌ من رعيته بمسمار عظيم، حتى بلغ باب القصر فأطل الملك فرآه، فقال متعجبا !! : ما هذا؟

قال: هذا مسمار جئت به لتثبت به الزمان حتى لا يدور بالملك عنك إلى غيرك، ويبقى لك الملك إلى الأبد .

ولكن هيهات هيهات !!

دار الزمان، وذهب الملك، ومضى الدهر بجبروته وسلطانه، وغرق الملك في لجج النسيان.

ذهب الملك كما ذهب من قبله فرعون، وهامان، والنمرود، وهلك الملك كما هلكت عاد، وثمود، ومشى الملك في الطريق الذي مشى فيه الطغاة جميعا في الماضي والحاضر

إِذَا مَا ظَالِمٌ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهباً

وَلَجَّ عُتُوّاً فِي قبيحِ اكْتِسابِهِ

فَكِلْهُ إلى صَرْفِ اللّيَالِي فَإنَّها

ستبدي له مالم يكن في حسابهِ

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِماً مُتَمَرِّداً

يَرَى النَّجْمَ تِيهاً تحْتَ ظِلِّ رِكابِهِ

فَعَمَّا قليلٍ وَهْوَ في غَفَلاتِهِ

أَنَاخَتْ صُروفُ الحادِثَاتِ بِبابِهِ

فَأَصْبَحَ لا مَالٌ وَلاَ جاهٌ يُرْتَجَى

وَلا حَسَناتٌ تَلْتَقي فِي كتَابِهِ

وجوزي بالأمرِ الذي كان فاعلاً

وصبَّ عليهِ الله سوطَ عذابه

لقد مرّ على الحياة قادةٌ ، وزعماء ، وملوكٌ ، ورؤساء اغتروا بقوّتهم ، وأموالهم وظنّوا أنهم مخلّدون ، ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الجاثية: ٢٤

فأين هم اليوم؟

بعد أن كانوا جبابرة الأرض، ومردة البشر.

أين فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ؟

أين النمرود الذي ضرّم النار على إبراهيم؟

أين قارون الذي خرج على قومه في زينته، وقال إنّما أوتيته على علمٍ عندي؟

أين أبرهة الأشرم الذي خرج يتعدّى ويتحدّى ويتمطّى لهدم الكعبة فسيّر جيشاً عظيماً ليهدم البيت الحرام ؟ أراد أن تكون الفيلة حديثاً للعرب والعجم، ونسي أبرهة الأشرم الحاكم الحبشي لليمن آنذاك أن للفيلة رباً، وأن له رباً، وأن للكعبة رباً، فأقسم ليسيرن إلى بيت مكة، وليخربنه حجرًا حجرًا.

فسار في جيش كثيف؛ واستصحب معه أفيالاً عظيمةً، يتقدمها فيل عظيم مهيب لم يُر مثله قط، يقال له: محمود، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك، فخرجت إليه القبائل يحولون بينه وبين البيت العتيق؛ ولكن لحكمة يريدها الله كان أبرهة يدك القبائل دكّاً ويمضي قُدُماً إلى هدم الكعبة .

فلما انتهى أبرهة إلى الْمُغَمَّس - ودنا من مكة - ، بعث رسوله إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف رجل في قريش، فجاءه بعبدالمطلب جدِّ النبي فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟

فقال عبدالمطلب للترجمان: إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي.

فقال أبرهة لترجمانه: عجباً له يكلمني في مائتي بعير أصبتها، ويترك بيتًا وكعبةً قد جئتُ لهدمه!

فقال له عبد المطلب كلمته المشهورة: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه.

قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني!

ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال، تخوفًا عليهم من معرة الجيش. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل الكبير نحو مكة فرك ولم يتحرك. فضربوا الفيل ليقوم فأبى. ضربوه في رأسه، ليقوم فأبى؛ فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول. وجهوه إلى الشام فهرول وجهوه إلى المشرق فهرول، وجهوه إلى مكة فبرك.

فيا سبحان الله! إن للفيل رباً، إنه خلق من خلق الله، أمره بيد الله !

جاهد أبرهة مع تلك الحيوانات التي ساقها للبيت العتيق فأبت تلك الأفيال أن تمضي إلى البيت العتيق. وعبد المطلب وأشراف مكة على جبل حراء ينظرون وهم يتضرعون إلى الله ويدعون على أبرهة، وعبد المطلب يقول :

لا هُـــمَّ إن العَــبْد يمــنــع رَحْلَــــه فـــامْنَع حِـــلالَكْ

لا يَغْلِبَــــــنَّ صليبُهُــــــم وَمِحَــالُهم غَــدْوًا مِحَـــالَكْ

جــــروُّا جُـــمُوع بِلادِهـــم والفيــل كــي يَسْــبُوا عِيَــالَكْ

عمــــدوا حِمَـــاك بِكَيْـــدِهِمْ جَــهْلا ومــا رقَبُــوا جَـــلالَك

إن كـــنت تـــاركـهم وكعبَتَنَــا فـــــأمْرٌ مــــا بــــدَالَكْ

**فلم أسمع بأَرْجَسَ من رجالٍ أرادوا الغزو ينتهكوا حَرَامَك**

فبينما هم كذلك، جاء أمر الله : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ الفيل: ٣ - ٥

الله أكبر.. ما أعظم الله بعث عليهم طيرًا أبابيل، جماعاتٍ متفرّقةٍ، مع كل طائر ثلاثة أحجار.

فحلقت الطيور على رؤوسهم، وأرسلت عليهم بتلك الأحجار الصغيرة فأهلكتهم وجعلتهم كعصفٍ مأكول.

فأين أبرهة الذي أقسم على هدم البيت؟

ذهبوا جميعا جرفهم سيل الزمان فهل يا ترى سيبقى من بعدهم ؟

فلا تيأسوا إذا تمرد الباطل واستأسد العدوان

لا تخافوا إذا تمكن الكفرة الفجرة ،،

لا تخافوا إن غدرت اسرائيل، أو مكرت الرافضة ، وأوذي أهل السنة وعظم البلاء بالمستضعفين الموحدين فما هي بأول المحن والشدائد ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ البقرة: ٢١٤ فثقوا بالله العظيم ثقوا بالكبير المتعال تذكروا جيدا يوم وقف النبي والمدينة على حافة خطرٍ عظيم ، وهجومٍ شرس، ثلاثة جيوش وعشرة آلاف مقاتل، أحاطوا بالمدينة، الغني بغناه والقوي بقواه للقضاء على الإسلام، فماذا فعل النبي والمسلمون؟

لم يعتكف النبي في مسجده ليدعوا عليهم ولو دعا لاستجاب الله دعاءه؛ ولكنه أراد أن يطرق سنن الله التي لا تتبدّل، فأعدّ العدّة، وحفر الخندق وحمل التراب بيده حتى غطى التراب بطنه ، وأحاط العدو بالمدينة واشتد الخطب وعظم البلاء وجاءت قاصمة الظهر ونقض يهود بنو قريظة العهد وغلبت عليهم نجاسة طبعهم ونذالة أخلاقهم ، وسطر الله هذه الشدة فقال عنها: ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأحزاب: ١٠

وتكالب على المسلمين العدو المتربّص، والبرد الشديد، والجوع الأكيد ، والحليف الخائن، فصبر النبي وجاهد وكانت العاقبة للمتقين ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ الأحزاب: ٢٥

تذكروا يوم خَرَجَ القرامطة على الحجاج فِي يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَانْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ وَاسْتَبَاحَ قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا، وجلس أميرهم أبو طاهر لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، وَالرِّجَالُ تُصْرَعُ حوله، والسيوف تعمل في الناس بل وفي المسجد الحرام وفِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْرَفِ الأيام، وهو يقول: أنا الله وباللَّه، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا. فكان الناس يفرون منهم فَيَتَعَلَّقُونَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَلَا يُجْدِي ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا. بَلْ يُقْتَلُونَ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَيَطُوفُونَ فَيُقْتَلُونَ فِي الطَّوَافِ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَوْمَئِذٍ يَطُوفُ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ، فَلَمَّا وَجَبَ أَنْشَدَ وَهُوَ كَذَلِكَ.

تَرَى الْمُحِبِّينَ صَرْعَى فِي دِيَارِهِمُ

كَفِتْيَةِ الْكَهْفِ لَا يَدْرُونَ كم لبثوا

فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم، وفي بقعٍ من الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

قال ابن كثير ~ : وَيَا حَبَّذَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ وَتِلْكَ الضجعة، وذلك المدفن والمكان. البداية والنهاية (11/160)

وَهَدَمَ قُبَّةَ زَمْزَمَ وَأَمَرَ بِقَلْعِ بَابِ الْكَعْبَةِ وَنَزَعَ كُسْوَتَهَا عَنْهَا، وَشَقَّقَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا بِأَنْ يَقلَعَ الْحَجَرَ الأسود، وَقَالَ: أَيْنَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ، أَيْنَ الْحِجَارَةُ مِنْ سِجِّيلٍ؟ ثُمَّ قَلَعَ الْحَجَرَ الأسود وأخذوه إلى بلادهم، فمكث عِنْدَهُمْ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى رَدُّوهُ. وقد ألحد هذا اللّعين فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلْحَادًا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يَوْثِقُ وِثَاقَهُ أَحَدٌ.

يا كرام لنعش مع هذه الفتنة الدهماء التي يتلجلج اللسان عند قراءتها ، وتمجّها الآذان عند سماعها، والسؤال أين الأحزاب الذين تحزبوا في الأحزاب؟

أين يهود بنو قريظة؟ أين القرامطة؟ أين عاد وثمود ؟ أين الطغاة جميعاً وعما قريب سيكتب التاريخ أين اسرائيل؟ أين أمريكا؟ أين بريطانيا؟ أين طواغيت الشر؟ وهنا يأتي السؤال متى سيكتبها التاريخ؟

متى نصر الله؟ ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ البقرة: ٢١٤

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ..

الثانية

متى نصر الله؟ سؤال نردده متى نصر الله؟

وفي كل شبر من أرض الإسلام طفل يذبح وفتى يؤسر وعرض ينتهك وشيخ يقهر، متى نصر الله؟

سؤال نردده متى نصر الله؟

سؤال نردده متى نصر الله؟ وقلوبنا خاوية وعقولنا فارغة وحياتنا لا تصلح للنصر والتمكين، ندعوه بقلوبٍ وألسنةٍ لم تصدق الله في سؤالها ودعائها.

نسأله التغيير ولم نتغير، نسأله المغفرة والتوبة ولم نتب،

وقد حكم ولا معقب لحكمه

ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﭼ الرعد: ١١

ندعوه أن ينصرنا على عدونا ونحن لم ننتصر على أنفسنا وشهواتنا بل لم ننصر ربنا ولو نصرناه لنصرنا ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ محمد: ٧

سؤال نردده.. متى نصر الله؟ وكأننا قد أدينا الرسالة وبلغنا الأمانة في انتظار تحقق الوعد وقد أسأنا الظن بربنا، سؤال نردده ونحن نحلم في نومنا ويقظتنا بصاعقة على اسرائيل كصاعقة عاد وثمود وبيوم كيوم الظلة على الطغاة والمعتدين ، فيهلك عدونا ونحن نائمون مرتاحون على أسِرَّتنا وقد نسينا أو تناسينا أن الله يهلك عدونا بأيدينا ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ التوبة: ١٤

نسينا أن نصر الله عزيز، ولابد من دفع الثمن، لابد من تمحيص الصف وتمييز الخبيث من الطيب،

متى نصر الله؟ وقد أضعنا الصلاة ومنعنا الزكاة ، وتجرّأنا على الفواحش والمنكرات.

متى نصر الله؟ ونحن لسنا من المتقين فما كنا بالليل رهبانا ، ولا بالنهار فرسانا ولا بالأسحار مستغفرين.

متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب، قريب لشباب نشأوا في طاعة الله وتحلّقوا حول علمائهم وولاة أمرهم، قريب لقوم يحبهم ويحبونه، قريب لرجال تعلقت قلوبهم بالمساجد، قريب لنساء عفيفات صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، قريب لرجال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم، قريب إذا علم العدو أننا نملك شيئا أعظم من الصواريخ والدبابات وأشد من القنابل والطائرات نملك حبا للموت وحنينا للشهادة وزهدا في الدنيا ورغبة للآخرة.

قيل لجبار ابن سلمى كيف أسلمت؟ قال واجهت مسلما يدعى حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، فطعنته من خلفه برمح ودخل الرمح من ظهره وخرج من صدره فلما خرّ صريعا قَالَ: بِالدَّمِ هَكَذَا فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ .

الله أكبر لمّا خر صريعا يتشحط في دمه ويلفظ أنفاسه الأخيرة، لما أيقن حرام ابن ملحان أن الزوجة رملت وأن الأبناء يتمت وأن لذائذ الدنيا قد أدبرت قال فزت ورب الكعبة، فقال جبار ما هذا الفوز؟ فقيل بالجنة ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ آل عمران: ١٨٥

قال: فلما رأيت هذا المشهد أسلمت لله رب العالمين.

**انتهت الخطبة**